December 2019
Vol 1 Issue 4

The journey of the Czech traveler Elwa Mosel in the valleys and deserts of the Arab Levant (1896-1915)

Dr. Issa Fadel Nazzal Al-Shammari
Shammari@gmail.com

Issn print: 2710-3005. Issn online: 2706 – 8455, Impact Factor: 1.705, Orcid: 000-0003-4452-9929, DOI 10.5281/zenodo.10518766, PP 134-145.

Abstract: After learning Arabic and reading Arabic, Alois Mosil studied the historical writings of the history, civilization and geography of the Levant. He began his journey in 1896, and there he learned about the inhabitants of the region, especially the Bedouins and especially the Arabs Of (Rwela) whom Mosil belongs to, But Mosil was not in a specific place, as soon as the seaerch was finished and the investigation in one place moveed to the other, each document was recorded in a specific way, . For example, he has indentified the Arab tribes, riverbeds, which he read about what disappeared from them and what remained, as well as the identification of some historical monuments that disappeared or almost disappeared by erosion, To be presented through seven books served Scientific great for those interested in the history, culture and geography of the Levant, and Mosil presented his idea of hugr volumes written in two languages (German and Arabic) and in a manner critical and analytical.

Keywords: Wandering , Semi Desert ,Desert ,Arabian East.

رحلة الرحال التشيكي إلوا موسيل في بوادي وصحاري المشرق العربي (1896-1915)

ملخص الدراسة: بعد ان تعلم ألوا موسيل اللغة العربية قراءة وكتابة، واطلع على الكتابات التاريخية الخاصة بتاريـخ وحضارة وجغرافية المشرق العربي، باشر رحلته عام 1896، وهناك تعرف على سكان المنطقة، لا سيما البدو وخاصة عرب (الرولة) الذين انتسب إليهم، ولكن موسيل لم يكن ليركن الى مكان محدد، فكان حالما ينتهي من البحث والتحري في مكانٍ ما ينتقل الى الآخر، موثقاً كل ما يشاهده في طريقة، فحدد مثلاً أماكن تواجد

القبائل العربية، ومجاري الانهار التي قرأ عنها ما دُرس منها ومالم يُدرس ، بالاضافة الى تحديده لبعض المعالم التاريخية التي اختفت أو كادت تختفي بفعل التعرية، ليقدم ومن خلال سبعة كتب خدمة علمية جليلة للمهتمين بتاريـخ وحضارة وجغرافية المشرق العربي، ولقد دوّن موسيل معلوماته ونتاج فكره باللغتين (الالمانية والانجليزية)، وباسلوب نقدي وتحليلي.

الكلمات المفتاحية: الرحال، بوادي، صحاري، المشرق العربي.

المقدمة

أسهمت النهضة الأوربية والثورة الصناعية في توجيه انظار الباحثين الأوربيين الى مجاهل الكرة الارضية، فظهرت الحركات الاستكشافية التي كان الغرض منها بسط السيطرة على أكبر قدر من الاراضي واستنزاف خيراتها، كما سخرت الدول الاوربية إمكانيتها في فتح أقسام علمية في جامعاتها تهتم بتاريـخ وحضارات العالم في شتى المعمورة، فأوجدت بذلك مجموعة من الاشخاص الذين لفت انتباههم حضارات البلدان الأخرى، وجراء ذلك ظهر الكثير من المستشرقين المهتمين بشؤون المشرق العربي، الذين لم يكتفوا بالدرسة داخل القاعات، وإنما سافروا ليروا باعينهم كل ما قرأوا مضيفين الى معلوماتهم الكثير من الاستكشافات التي أغنت مكتبات العالم بمدونات عدت من أهم المصادر التاريخية كونها كانت شاهد حي للواقعة التاريخية في فترة من الفترات.

وجاءت هذه الدراسة الموسومة بـ "رحلة الرحالة التشيكي ألوا موسيل في بوادي وصحاري المشرق العربي 1896-1915" لتسلط الضوء على واحدة من أهم العمليات الاستشرافية في العصر الحديث والمعاصر، كونها كانت رحله معمقة استمرت لعقدين من الزمن مع بعض الفتور، كما تميز صاحبها بالكثير من المؤهلات العلمية من أتقان اللغة وعمق الاطلاع والذكاء في النقد والتحليل، فقدم دراسة تاريخية وجغرافية واجتماعية واقتصادية وسياسية مفصلة لمنطقة المشرق العربي، حتى أصبحت مؤلفاته مصدراً مهماً لكل الباحثين في شؤون المنطقة.

قُسمت الدرسة الى تمهيد، وأربعة محاور، واستنتاج تناول المحور الأول منها (خلفية ألوا موسيل العلمية) وقد تضمن هذا المحور ولادة موسيل، مرورا بخلفيته العلمية ومميزاته الى تاريـخ وفاته. فيما تناول المحور الثاني الذي جاء بعنوان (رحلاته البحثية) والتي حاول من خلالها الباحث ابراز نماذج

من رحلات موسيل المتعددة التي لا يمكن حصرها بدراسة واحدة ولا بكتاب واحد لكثرتها وكثرة أحداثها، كما تتطرق الباحث الى الصعوبات التي واجهها الرحالة، وكيف تمكن من التغلب عليها، والى الاساليب التي اتبعها في سبيل تسهيل مهمته البحثية. فيما تمحور المحور الثالث والأخير والمعنون بـ(آثاره العلمية) حول مؤلفات موسيل والجهات التي تبنت طباعتها، وطريقة موسيل بالكتابة، فضلاً عن عرض لبعض الدراسات التي قدمها المؤلف.

ولقد اعتمد الباحث في هذا الدراسة على طائفة مهمة من الكتب التي يقف في مقدمتها مؤلفات الرحالة ألوا وموسيل، ككتاب (الفرات الاوسط) وكتاب (في الصحراء العربية) وغيرهما من الكتب.

تمهيد

ظلت أعمال الرحالة الأوربيين تشغل بال الكثير من الباحثين والدارسين العرب، حتى صدرت في سبيل ذلك العديد من الكتابات منها ما امتلأ إعجاباً بهؤلاء الرحالة، ومنها ما اعتبرها أعمالا استشراقية تمتلئ عداءً وتحريضاً بين العرب، فيما رأى آخرون أن الرحالة مجموعة جواسيس هدفهم الايقاع بسلامة وأمن المنطقة، لتسهيل استعمارها استنزاف خيراتها أو الإيقاع بها من خلال مراقبتها ومعرفة أمكانية سكانها[1]. وعلى الرغم من كل ما سبق فان مدونات الرحالة تعد رافداً مهماً من الراوافد المعرفية الزاخراً بالكثير من المعلومات التي تهم المتخصصين بالتاريـخ والسياسية والجغرافية وعلمي الاقتصاد والاجتماع ، وأهميتها تكمن من خلال ما تحويه من مادة علمية مهمة تخص تلك النواحي، إذ أنه ليس ثمة شك من أن الرحلات تعد أهم مصادر كتابة التاريـخ؛ فهي –وعلى عكس المصادر الأخرى- تعتمد على الادراك المباشر للاحداث، ولا تعتمد على النقل والسماع فقط، مما يجعل منها شاهدا حياً علة الواقعة التاريخية .[2]

أن للمستشرقين الأوربيين الدور الرائد في رسم صورة شبه متكاملة لتاريـخ المشرق العربي في في فترة من الفترات، وذلك من خلال تدوين ما شاهدوه عياناً إبان رحلاتهم المتكررة[3]، لاسيما الى المشرق العربي وخاصة شبه الجزيرة العربية، التي انطلقت بغزارة منذ مطلع القرن السادس عشر الميلادي حتى غدت شبه الجزيرة العربية

[1] حلمي النمنم، "الرحالة الأوروبيون جواسيس وعلماء"، جريدة (الاتحاد)، (ابو ظبي-19 تشرين الاول 2005).

[2] حورية عبد الإله سعيد السمُلي، كتابات الرحالة الأوربيين مصدر للتاريخ الحضاري للمدينة المنورة من مطلع القرن العاشر الهجري حتى نهاية العصر العثماني دراسة تحليلية، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) مقدمة إلى مجلس كلية الشريعة والدراسات الاسلامية/ قسم التاريخ، (جامعة أم القرى/ السعودية-2013)، ص28.

[3] عامر الجميلي، "موسيل ودوره في إعادة تشكيل أشهر مسارات طرق الحملات العسكرية وتحديدها في العصور التاريخية القديمة على الفرات الأوسط"، بحث تم مناقشته في مؤتمر كلية الآداب، (جامعة الموصل-2011).

مركز استقطاب للرحالة لاوربيين، مثل الرحالة الإيطالي لودفيكو دي فارثيما (Lodovico De Varthema)(1470-1517)، والرحالة الفنلندي جورج أغوست فالن (George August Wallin) (1811-1852) والرحالة البريطاني سانت جون فيلبي (Sant John Phillby) (1885-1960)، وغيرهم كُثر[4]. وكان من بين أولئك الرحالة أيضا ألوا موسيل (Alois Mosil) (1868-1944).

المحور الأول: خلفية ألوا موسيل العلمية

ألوا موسيل رحالة يهودي من بوهيما، ولد عام 1868 في مدينة ماهرن التشيكية، ثم تلقى تعليمه في الجامعة الكاثوليكية القديمة (أولموتز) عام 1895، ثم ذهب بعدها تباعاً الى كل من (باريس وبيروت وليمبردج وبرلين) لغرض دراسة اللغة العربية في معاهد اللغات الموجودة في تلك المدن، كما عمد على التمرن عليها جيداً في الخطاب مع أهلها، ولم يكتفِ موسيل بدراسة اللغة بل درس وقرأ كتب التاريـخ العربية والإسلامية، حتى برز في الفقه الإسلامي الى جانب اللغة العربية، ما جعله قوي الحجة واسع المعرفة والإطلاع فلفتت منظارته مع شيوخ الدين في سوريا ولبنان أنظار المسؤولين في فيينا.[5]

لم يهمل موسيل دراسته الاكاديمية بل مارسها دراسة وتدريس، ولقد أكد موسيل فيها على أحوال المناطق الواقعة شمال نجد وشرق الأردن وبادية الشام والفرات الأوسط، فقرر زيارتها لتفحصها بدقة وعن كثب من جميع الجوانب التاريخية والجغرافية ،فكان له ما اراد ساعده في ذلك معرفته واتقانه للغة العربية وتحاوره مع أهل تلك المناطق، فضلا عن أطلاعه الواسع وحبها لمعرفة الحضارات العربية [6]. وعلاوة على ما تميز به موسيل من دقة الملاحظة وسعة الآفاق وغنى المعلومات وعمق التفكير وشمول المعرفة الاتزان في الحكم[7]. حتى عُد موسيل من الشخصيات الاستشراقية الكبيرة والمهمة التي درست وكتبت عن المشرق العربي[8]. فنال إعجاب حكومته به، مما حدا بها الى تكريمه عدة مرات من خلال تتويجه بعدة

[4] أحمد أبو زيد، "الجزيرة العربية بعيون الرحالة"، جريدة (الشرق الاوسط)، (لندن-25تشرين الأول 2018).

[5] رياض نجيب الريس، جواسيس بين العرب صراع المخابرات الأجنبية وأوهامها 1898-1926، ط3، (بيروت-2002)، ص81-82.

[6] ألوا موسيل، الفرات الأوسط رحلة وصفية ودراسة تأريخية، ترجمة صدقي حميدي، وعبد المطلب عبد الرحمن داود، مراجعة صالح أحمد علي، علي أحمد المياح، مطبعة المجمع العلمي العراقي، (بغداد-1990)، ص3.

[7] المصدر نفسه، ص3.

[8] ألوس موزيل، عن التاريخ المعاصر لشبه الجزيرة العربية، ترجمة: محمود كيبو، مراجعة: ماجد شبر، ط2، دار الورق للنشر، (لندن-2009)، ص٤.

أوسمه، وبعد حياة رافلة بالبحث توفي موسيل عام 1944 متأثيرا بمرض الكلية.[9]

شغل موسيل بال الكثير من المؤرخين والمهتمين بالسياسة فرجحت بعض المصادر من أنه جاسوس يعمل لحساب جهاز الاستخبارات النمساوية، وحجتهم في ذلك أن موسيل تعرف وبوقت مبكرا جداً من حياته وتحديداً أثناء دراسته الابتدائية إلى معهد (الجغرافيا العسكرية في فيينا) (Military Geography in Vienna)، وأنه لما كبر وعاد من رحلته البحثية من سوريا ليلتحق بجامعة في أولمتز عام 1902 ليصبح تدريسيا فيها بدرجة (إستاذ) لمادة دراسات العهد القديم ظل موسيل ضمن حدود امبراطورية النمسا لمدة ست سنوات كاملة دون أن يغادر إلى أي بلد عربي، وبعد ذلك وبالضبط في 21 شباط (مارس) 1908 تلقى برقية عاجلة من السفارة النمساوية في القسطنطينية تطلب منه الحضور للقيام برحلة علمية طول خط الحجاز الحديدي، وقد كلفت السفارة النمساوية موسيل بوضع خرائط مفصلة للمنطقة الواقعة بين (معان والعلافي) في إقليم الحجاز[10]. ما فتحت باب الشك من كونه جاسوساً.

لكن في المقابل يرى اليوم سكان المناطق التي زارها موسيل بأن الرجل قد قدم خدمة جليلة لهم من خلال توثيقه وضبط أماكن تواجد أجدادهم وأبناء جلدتهم، حيث كان موسيل لا يتواني في مؤلفاته من تحد أماكان كل قبيلة كان قد مر بها أثناء مسيرته البحثية، فهو بذلك حدد مناطق تواجد القبائل العربية في المشرق العربي في الربع الاخير من حياة الدولة العثمانية، بشكل مضبوط .[11]

وفي مجال آخر يمتن المتخصصون بالأثار لموسيل كونه قدم دراسات جغرافية وآثارية مهمة تنم عن اهتمامه التاريخي والمعرفي، فمثلاً قدم الرجل تحريات جغرافية في منطقة الفرات الأوسط، وفحص آثار هذا النهر ببضع كيلومترات جنوب هيت، ولاحظ أن ضفافه مرصوصة بالحجارة كما وثق وجود دار ضخم على الجانب الايسر من النهر[12]. ويقول ((..لكشف الغموض عن النهرين الغامضين -سوكوراس والثرثار- توغلت في داخل البلاد الواقعة بين النهرين الجنوبية عامي 1912-1915 وفي السنة الأخيرة من البحث وأثناء عودتي من رحلة موسعة في أواسط جزيرة العرب لم يقتصر

[9] ألويز موزيل، في الصحراء العربية رحلات ومغامرات في شمال جزيرة العرب 1908-1914، تحرير: كاثرين مكغيفرت رايت، ترجمة: عبد الإله الملاح، مراجعة وتعليق: احمد إيبش، ط1، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، (أبو ظبي-2010)، ص10.

[10] الريس،جواسيس بين العرب...، ص81.

[11] موزيل، في الصحراء العربية...، ص61-63؛ موسيل، الفرات الأوسط...ص 87-88.

[12] بشير يوسف فرنسيس، موسوعة المدن والمواقع في العراق، إعداد: جنان بشير يوسف وزياد ايمن بشير، تقديم الاب: البير ابونا، اصدارات إي- الكتب، (لندن-2017)، ص896.

بحثي عن شبكة الجداول المتاخمة لمصب الفرات الأول فحسب، بل أنني تتبعت ما درسته من رويات تاريخية عن مجرى النهر..)).[13]

وبهذا يمكن القول أن حياة موسيل كانت حياة زاخرة بالجد والمثابرة، حيث بنى نفسه من الداخل قبل أن يتوجه الى المشرق العربي، فقرأ الرجل التاريـخ وأتقن اللغة، وأخذ بجميع اسباب النجاح، حتى نال إعجاب حكومته به، وتمكن من نيل درجة (الاستاذية) في المجال الذي يريد، وهو تخصص بالدراسات القديمة.

المحور الثاني: رحلاته البحثية

تميز ألوا موسيل بالهمة والنشاط أثناء أداء مهمته، إذ لم يكن يركن الى الاستراحة الطويلة اثناء رحلاته مهما وجد المتعة في أحد الامكنة، بل كان ينتقل من أي مكان حالما ينتهي من التدوين عنه، وفي هذا الصدد يقول ((ما حفزني على مواصلة عملي دون فتور ما كتبه الباحثون القدامى...))[14]. وقد ساعدت موسيل عده أمور سهلت عمله والتي يمكني حصرها بنقطتين رئيسيتين؛ همها:

- مساندة الدولة التشيكية لموسيل كثيرا في رحلاته، إذ أنها لم تتوان عن تقديم الدعم الكامل له ، ولعل أول تلك المساعدات أن سمحت له جامعة فيينا -التي كان ينتسب إليها- بالسفر، وعلاوة على ذلك، جعلته على صلة مستمرة بجامعة فيينا، ليتنسى لها متابعته بشكل مستمر، ما يجعلها على أهبة الاستعداد في حال تعرضه للأي خطر ، وفي الوقت ذاته كان موسيل يمد جامعته بأخر ما توصل إليه من معلومات، عند طريق تواصله المستمر معها.
- كان موسيل يستعين ببعض سكان المنطقة التي يتواجد فيها ممن لهم خبرة بمناطقهم، ويحضون بمكانة اجتماعية فيها، ولهذا الامر فائدة مهمة؛ وهي إمكانية الدفاع عنه أمام المخاطر التي قد تعترضه بحكم مكانة دليله، ولم تأت تلك المساعدات لموسيل اعتباطا، بل كانت عربوناً لثمن كان يقوم به موسيل تجاه سكان تلك المناطق، فلقد كان لموسيل مكانة لدى الحكومة العثمانية[15]، وكان يستخدم مكانته عندها لتعميق جذوره بين العرب من خلال اطلاق سراح المعتقلين من أبنائها[16].وكان لا

[13] موسيل، الفرات الاوسط...، ص7.
[14] المصدر نفسه، ص7.
[15] الريس، جواسيس بين العرب...، ص 83.
[16] جريدة (الاقتصادية)، "موزل عاش مع البدو وكتب تاريخهم"، (الرياض- 2016/4/22).

يتوانى أيضا عن تقديم الهداية القيمة لبعض الاشخاص لاسيما المشايخ لكسب محبتهم وثقتهم[17]، كما كان يسخر معرفته البسيطة والسطحية بالطب لمساعدة الجرحى من العرب نتيجة تقاتلهم المستمر فيما بينهم.[18]

عاش الرحالة موسيل ردحاً من الزمن متنقلاً بين صحراء وبوادي وحواضر منطقة المشرق العربي يكتب ويوثق كل ما يشاهده[19]، متحملاً حتى أقسى الظروف في سبيبل تحقيق غايته ، ولقد نقل ما كان يلاقي من شدة في مؤلفاته أثناء ، مفتخراً أنه لم يترك البحث في منطقة ما لأجل قسوة ظروفها وصعوبة البحث فيها[20]، بل كان يتحدى حتى المرض، ففي إحدى المرات ذكر أنه كان يعاني من ارتفاع درجة الحرارة التي رافقتها وعكة صحية كانت عبارة عن مغص معوي نتيجة اضطراره للشرب من ماء بئر ملوث، ومع ذلك لم يغادر المنطقة حتى أنتهى من تدوينه[21]، كما كان لا يتواني من الإعادة في حالة سرقت منه ملفاته، على نحو ما حدث معه قرب الرقة السورية حينما اعترضه فرقة من فرسان قبيلة (شمر) العربية فنهبوا ما بحوزته من صور وخرائط، فاعاد المسير والتدوين والرسم.[22]

قام موسيل بسلسلة مهمة من الرحلات البحثية في المدة المنحصرة بين (1896-1915)، وقد شملت تلك الرحلات أجزاءً واسعة من بلاد المشرق العربي؛ منها فلسطين وشرق الاردن وسوريا وبادية الشام وصحراء النفود والحماد...إلخ[23]، حيث ابتدأ من ما يسمى بلاد (العرب الحجرية)[24] ، تلك الرحلة التي انتهى منها عام 1902، وبعد فتور لم تُعرف اسبابه استأنف رحلاته للمشرق العربي، حيث ارتاد بادية الشام في المدة (1908-1909)، ثم قام برحلة ثالثة عام 1910 ارتاد من خلالها الجزء الشمالي من الحجاز، وفي عام 1912 قام برحلة الى تدمر، وخرج منها إلى أواسط الفرات والجزء الجنوبي الشرقي من بادية العراق وبادية السماوة والجزء الشمالي من نجد.[25]

استطاع موسيل خلال رحلاته توثيق علاقته مع بعض عشائر شمال الجزيرة العربية وخاصة عشائر عنزة وتحديدا عرب (الرولة)، الذين حل فيهم ضيفاً في 11 حزيران/ يوليو 1908 ولمدة سنة ، فتوطدت

[17] للمزيد ينظر، موزيل، في الصحراء العربية...، ص61-63.
[18] الريس، جواسيس بين العرب...، ص 85
[19] موزيل، عن التاريخ المعاصر...، ص5.
[20] موسيل، الفرات الاوسط...، ص104.
[21] الريس، جواسيس بين العرب...، ص95.
[22] المصدر نفسه، ص86.
[23] موزيل، في الصحراء العربية...، ص8.
[24] وهي تلك الأرض الواقعة الى الشرق من مصر وفي جنوب البحر الميت وجنوبه الغربي على أطراف الحدود بين مصر وفلسطين.
[25] أ موسيل، شمال بلاد العرب شمال الحجاز (1)، ترجمة: عبد المحسن الحسين، مؤسسة الثقافة، (الاسكندرية-1952)، ص (ج-د)

العلاقة بينه وبين (الشيخ نوري الشعلان) [26]، حتى أن القوم قد نسبوه إليهم، إذ عُرف موسيل بين القبائل بـ(الشيخ موسى الرولي) أو (الشيخ موسى الرويلي)، كما أدعى موسيل حب ابناء حب أولئك الجماعة[27]، لكنه كان يحب أن يسمي نفسه بـ(موسى بن نمسا) وليس (موسى الرولي)، وكان موسيل يقدم المشورة والنصح كاحد أفراد عرب الرولة التي كان في حالة غزو وحروب مستمرة حتى مع بطون عنزة، ناهيك عن مضايقات الحكومة العثمانية لها وحثها للوقوف جانبها في حربـها مع الانجليز، فاحبه القوم وأنزلوه منزلة شيخ القبيلة، فقد قال له الشيخ نوري ذات يوم معبراً عن مدى حبه لموسيل ((لقد أصبحت ياموسى أخا لي.. ، فأنت بالتالي من شيوخ عشيرتنا))[28] . وقد زادت تلك الصلة كثيراً بعد توسط موسيل لدى الباب العالي لاطلاق الشيخ نوري الذي ظل معتقلاً بسجن (الضمير) في دمشق لمدة سنتين، ولكن بمجيء موسيل في أحد مهامه أطلق سراح الشيخ حينما علم بسجنه، ثم طلب منه الوقوف الى جانبه في مقاتلة الانكليز لكن الشيخ رفض كونه كان مشتاقاً لاهله وأفراد عشيرته[29] . وبموقف موسيل الأخير اصبح له مكانة لا يدانيها مكانة بين عرب (الرولة)، ولقد عبر الشيخ نوري عن هذه المكانة أدق تعبير حينما قال ((إنك يا موسى أعز عندي من ابني البكر نواف))[30] ، ولم يكسب موسيل ثقة الرولة فحسب، بل كسب ثقة جميل العشائر التي احتك بها، لما ادعى من الطيبة وحسن المعشر تمشية لأموره وتحقيق هدفه القاضي بجمع معلومات وافية حول المناطق التي وُكّل إليه مهمة زيارتها والبحث فيها[31] ، ومن الأمثلة الأخرى لتعاونه مع العرب ما قام به تجاه زعيم قبيلة (بني صخر) (الشيخ عودة أبو تايه) الذي تعرض لاصابات نتيجة لاحدى حوادث الصحراء فقام موسيل بتضميد جراحه ، وأصر أن يبقى ملازماً للشيخ حتى يشفى من جراحه[32]. كما قربه الشيخ متعب بن هذال شيخ عرب (العمارات) العنزية، -الذي كان يسكن وعشيرته على امتداد الفرات الى عانة والبوكمال والى حدود النفود جنوبا- بعد أن أهداه موسيل هدية كانت عبارة عن مسدس مطلٍ بالنيكل من طراز غاسر (Casser)[33]، وبلغ موسيل مكانة عند البدو حتى أضحى يتوسط بين العشائر لحضوته ونيله الاحترام من جميع الاطراف البدوية التي كانت في نزاع

[26] موزيل، في الصحراء العربية...، ص330

[27] نجيب العقيقي، المستشرقون، ط4، دار المعارف، (القاهرة-1981)، ج3، ص239.

[28] موزيل، في الصحراء العربية...، ص11-22-330.

[29] جريدة (الاقتصادية)، "موزل عاش مع البدو ....

[30] الريس، جواسيس بين العرب...، ص 85.

[31] موسيل، الفرات الأوسط...، ص3.

[32] الريس، جواسيس بين العرب...، ص 85

[33] غاسر: مسدس قديم ذو بكرة نمساوية الصنعة، تتسع بكرته (8) طلقات، وقد انقرض اليوم، للمزيد ينظر، موزيل، في الصحراء العربية...، ص61-63.

شبه دائم لاسيما بين شمر وعنزة، حتى أن كُتب فيه أحد البدو شعر يمدح فيه سعة معرفته، ومما جاء في تلك القصيدة:[34]

أبدي بذكر الله على كل نيه
رب كريم عالم بالخفيات
يا راكبا من فوق حمرة ثنيه
حمره وهمية من اركاب الشرارات
ما سامها الشراي بعداد ميه
ولا نوخت للشيل دوم معفاة
مرباعها بطراف نجد العذية
ترعى زهر نوار ورد الذوابات
إلى أن يقول
الشيخ موسى كل علومه شفيه
حافظ علوم من دهور مزمنات
ما جابت الخفرات مثله حليه
ولا له شبيه بشيوخ البداوات
حاكم وزير عارف كل شيه
ولا له مثيل كود ابو زيد بصفات.ط

وإذا كان موسيل قد متَّن علاقته مع البدو لكنه عجز أن يفعل الشيء ذاته مع الحضر، فاعتمد على الترغيب باعطاء المال في سبيل ايجاد من يدله على الطريق، وفي هذا المجال يذكر موسيل - بعد أن وصف رحلته من بغداد إلى تكريت وصفاً مسهباً- أنه كان ماراً من بئر يقال له (بير الحصيني) إلى منطقة يقال لها (كهف الكلب)، وانه رأى هناك مزارع واقعة في الشمال الشرقي من موقع يقال له (قبر العروس)، وذكر أن تلك المزارع يقال لها (حاوي العوجة)، وأنها ملك لعشيرة (البيجات[35]). وفي طريقه إلى تكريت يذكر موسيل لقاءه برجل يدعى (أحمد الخطاب[36])، وقد اختاره دليلاً له في طريقه نحو راوه -التابعة لمحافظة الانبار غرب العراق- بحكم معرفته بالمنطقة، بالإضافة إلى مكانة خطاب عند عشيرته، إذ كان بمعونته يداهمون مخيمات الشرطة العثمانية ويقتلون الدرك، ويرسل بعض الغنائم لافراد عشيرته القابعون في الصحراء، كما أن خطاب كان يشكل مصدر رعب لبقية العشائر كونه معروفا بالنهب والسلب فاستغل موسيل هذه النقطة إذ أنه برفقة رجل خطر لم يعد يخاف من شيء آخر، وبينما استأنفا مسيرتهما حتى لا حت اطراف راواه فامتنع خطاب من مواصلة رفقته

[34] جريدة (الرياض)، "ابن البادية يثني على المستشرق لويس موزل"، ع13470، (الرياض-11 مايو 2005).

[35] كلمة (البيجات) مشتقة من كلمة (بيك)، وهم حسبما جاء في التقرير السري لدائرة الاستخبارات البريطانية بانهم خليط من عشائر متعددة في جملتها الدليم، وأنهم مزارعون وينتسبون عن طريق المصاهرة بـ (آل شاوي)، وأن موقعهم حسب التقرير أيضا كان في الضفة اليمنى من نهر دجلة جنوب تكريت، وأنهم إبان تلك المدة لم يتجاوز عدد بيوتهم الـ(60) بيت، للمزيد ينظر، عبد الجليل الطاهر، العشائر والسياسة تقرير سري لدائرة الاستخبارات البريطانية، ط2، (ب م- 2008).

[36] احمد خطاب: هو أحد أفراد عشيرة (البيجات)، وكان أخوه قد لقي مصرعه على يد رقيب عسكري إثر شجار دار بينهما، ويذكر خطاب لموسيل بأنه أخذ بثأر أخيه حينما قتل ذلك الرقيب وأثنين من الدرك كانوا برفقته وولى هارباً وعشرون خيالاً كانوا برفقته مع عوائلهم إلى عمق الصحراء، وكانت أرض مضاربهم تنحصر بين بين الثرثار ودجلة، وكان خطاب يزور تكريت ليلاً للقاء حبيبته التي كان والدها يرفض تزويجها له خوفاً من الحكومة، للمزيد ينظر، موسيل، الفرات الأوسط...، ص100.

لموسيل الى راوة خوفاً من أن يُعرف، فيتم التبليغ عنه.[37]

وسواء كان موسيل صادقاً بحبه للعرب أو كاذبا إلى أنه تمكن من خلال إظهار محبته وطيب معشره وقربه من الحكومة العثمانية وهداياه من أسر قلوب القوم، وهذه النقطة بالذات كان لها الأثر البالغ بالنجاح، حيث تنقل موسيل بين أماكن المشرق العربي ولم يكن يخشى شيئاً، فوثق ما شاهد وسمى المناطق بتسميتهاالتي سمعها من أهلها، كونه كان يتقن لهجة المناطق التي يرتادها.

المحور الثالث: آثاره العلمية

أثرى موسيل المؤسسات الأكاديمية بدراسات كان لها الأثر الأكبر في المعرفة بتخصص الجغرافية والتاريـخ لأجزاء واسعة من العراق وبلاد الشام والجزيرة العربية .[38] إذ دوّن موسيل كل ما شاهده على شكل بحوث ومجلدات باللغة الألمانية والأنجليزية، تحري فيها الدقة في الوصف والنقد والتحليل، بالإضافة إلى أنه دبج بضع مقالات للتعريف بعشرات الكتب العربية الى القراء التشيكيين، ولاسيما عنصر الشباب المتعطشين لمعرف ثقافة وحضارة المشرق العربي .[39]

سجل موسيل ثمار معرفته في كتب أفرد لكل منطقة زارها مجلداً خاصاً، وقد اشتملت تلك المناطق على أرضي نجد والحجاز والصحراء العربية وبادية الشام والفرات الأوسط، وخص لعرب (الرولة) إحد فروع قبيلة (عنزة) مجلداً خاصاً، دوّن فيه أحوالهم وطبيعة حياتهم وعاداتهم وتقاليدهم، وكيف أنه أشتهر بينهم كفرد منهم يسمى (موسى الرولي)[40] . وأمام هذا الكم الهائل من المعلومات قامت (الجمعية الجغرافية الأمريكية) (American Geographic Society) في ولاية نيويورك في المدة (1926-1928)، برعاية (المجمع التشيكوسلوفاكي) (The (Complex is Czechoslovakian) والمستر (كراين الأمريكي) (Mister Crane) المشهور بحبه للعرب[41]. بنشر مؤلفات موسيل، حيث قامت (الجمعية) بتلخيص (6) كتب لموسيل في الكتاب الذي جمعته الكاتبة الأمريكية (كاثرين مكغيفرت رايت) (Catherine McGeever Wright))، حيث أقتبست فيه وبلغة سلسة ممتعة أخبار رحلات موسيل مع عشائر الشمال كـ(الرولة وولد علي وشمر)، خلال المدة المحصورة ما بين (1908-

[37] المصدر نفسه، ص 87-101.
[38] الجميلي، موسيل ودوره في ....
[39] العقيقي، المستشرقون..، ص239.
[40] موسيل الفرات الأوسط...، ص3.
[41] العقيقي، المستشرقون...، ص239.

1914)[42]. وقد صدر تلك الكتب في نيويورك في (1928-1930) عن دار (هورس ليفرايت) ([43] Hirace Liveright). وظلت كتب موسيل مذ صدورها ولهذا اليوم مرجعاً معتمداً وأساساً لكل دراسة تاريخية وجغرافية لها علاقة بالمناطق التي زارها[44]. وهناك من يذكر أنه علاوة على الكتب الستة المعروفة لموسيل يوجد كتاب سابع بعنوان (تدمر) .[45]

كما ذكر السيد نجيب العقيقي في كتابه (المستشرقون) بجزئه الثالث أن لموسيل دراسات أخرها في مجلة (الدراسات الشرقية) في فيينا غير كتبه العروفه، ؛ وهي:

- جغرافية البتراء (1907-1908-1910).
- الجزيرة العربية (1908-1910).
- العراق وسوريا (1915).
- خصائص البدو.[46]

ويقع الآن بين يدي الباحث أربعة كتب لموسيل، وهي:

الفرات الأوسط: وهو عبارة عن رحلة وصفية وتاريخية لمنطقة الفرات الأوسط، ترجمه الى العربية الدكتور صدقي حمدي والأستاذ عبد المطلب عبد الرحمن داود، وقد طبع في المجمع العلمي العراقي في بغداد عام 1990، والكتاب يتكون من (636) صفحة، شمل القسم الأول منها وصف المنطقة التي جرت الدراسة فيها وصفا دقيقاً مستوعباً لكافة التفاصيل، إذ وصف موسيل الاحوال الجغرافية والعمرانية التي كانت قائمة إثناء رحلته، وضبط أسماء المواضع التي رأها بالتلفظ الذي سمعه من أهلها. فيما اشتمل القسم الثاني على المعلومات التاريخية للمنطقة، فورد فيه كافة ما تيسر له معرفته عن المدونات المذكورة في النصوص المسمارية والبابلية ولآشورية، وما تيسر لديه من كتابات الاغريق والرومان، ثم اعقب ذلك بما كتبه الرحالة المحدثون، واستطاع موسيل بواسطة تلك الطريقة رسم صورة واضحة المعالم عن تلك المنطقة للقارئ، ما جعل كتابه مرجعاً مهماً لذوي الاختصاص.[47]

في الصحراء العربية رحلات ومغامرات في شمال جزيرة العرب 1908-1914: وهو عبارة عن رحلة وصفية وتاريخية لبعض مناطق الصحراء العربية شمال جزيرة العرب، والكتاب من تحرير كاثرين مكغيفرت رايت ترجمة عبد الإله الملاح، مراجعة وتعليق الدكتور أحمد إيبش ، طُبعته هيئة أبو ظبي

[42] ب ك، "في الصحراء العربية رحلات ومغامرات في شمال جزيرة العرب"، ضمن موقع التالي: http://www.darmm.com/vb.

[43] موزيل، في الصحراء العربية...، ص7.

[44] العقيقي، المستشرقون...، ص239.

[45] موزيل، عن التاريخ المعاصر...، ص6.

[46] العقيقي، المستشرقون... ص239.

[47] موسيل، الفرات الأوسط....، ص636.

للثقافة والتراث عام 2010، ولقد تضمن الكتاب (370) صفحة تضمنت بالاضافة الى مقدمة هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث وتعريف بالرحالة موسيل ومقدمة للمحرر ، عرضا شائقاً لتقاليد البدو الاجتماعية والثقافية وأنماط حياتهم، في تخوم الفرات ومضارب (ابن سمير) وعلى أطراف صحراء النفود وفي قلب الصحراء العربية، وبعض المناطق السورية عبر (وادي سرحان) حيث عرب (الرولة) الذي انتمى موسيل اليهم، وانتهى به المطاف في دمشق، كما تحدث القسم الثاني من الكتاب عن عرب (ولد علي) الذي هم أحد فروع قبيلة عنزة العربية .[48]

عن التاريـخ المعاصر لشبه الجزيرة العربية: وهو عبارة عن رحلة وصفية وتاريخية لبعض مناطق نجد، ترجمة محمود كبيبو، وقد تم اخراج طبعته الثانية في دار الورق للنشر في لندن عام 2009، والكتاب يتكون من (184) صفحة، تناولت جانبا عن حياة وتاريـخ السكان هناك، وذكر بعض الأحداث المهمة عن شبه الجزيرة العربية التي حدثت أثناء إقامة موسيل في تلك المنطقة .[49]

شمال بلاد العرب، شمال الحجاز: وهو عبارة عن كتاب يتضمن رحلة وصفية وتاريخية لمنطقة شمال الحجاز ، وهذا الكتاب ترجمه الى العربية عبد المحسن الحسني، وطبعته مؤسسة الثقافة في الاسكندرية عام 1952، ويتكون الكتاب من (68) صفحة تناولت وصف (معان ومنعون) المذكورتين في (التوراة) وعند بعض المؤلفين العرب، كما جاء فيه شرح عن منطقة أرض (عوض وسعير والشراة) وحدود الحجاز الشمالية والعمالة وموضع (قادش) وفي طريق الخروج يذكر فيه موسيل الطريق من مصر الى جبل (سيناء) ومن جبل (سيناء) الى وادي (زارد)، وختم كتابه بالتطرق الى جبل (آرم) وعرب (التوراة وفاران وبتطمة).[50]

ومن هنا يلاحظ أن موسيل خلف كم كبير من المعلومات تمثلت بكتبه السبعة، فضلاً عن بحوثة في مجلة (الدراسات الشرقية)، وبـهذ يمكن القول أن موسيل أمد المكتابات المهتمة بدراسة تاريـخ وجغرافية ومجتمعات المشرق العربي برافد معرفي مهم جداً، وهو متوفر في اللغات العربية، فضلاً عن الألمانية والانجليزية.

الاستنتاج: لا يُنكر بأن ألوا موسيل واحد من أهم الرحالة الأوربيين، أتقن عمله من جميع النواحي المتعلقة بمهمته، فعلاوة على كونه تميز بالاتزان والذكاء وعمق التفكير، فقد تعلم اللغة العربية بين قاعات الدراسة

[48] موزيل، في الصحراء العربية...، ص1-358.

[49] موزيل، عن التاريخ المعاصر... ، ص.184-1

[50] موسيل، شمال بلاد العرب...، ص1-68.

وبين العرب حتى أتقنها، ثم درس تاريـخ المشرق العربي قديمه وحديثه، حتى استطاع أن يرسم صورة متكاملة في مخيلته عن المشرق العربي، ووفق تلك الصورة بدأ مسيرته. ونجح بها كونه تمكن وبطرق متعدة من توثيق علاقته مع عرب المناطق التي ارتادها، ولكن ثمن تساؤلات تطرح نفسها، ما هي مهمة موسيل الرئيسية؟ هل كانت لاجل العلم والتحري والاستكشاف؟، أم للتجسس وكسب الانصار والمؤيدين؟، أم أنه دمج بين الأثنين ؟

لا شك من أن موسيل قدم معلومات مهمة للمهتمين بدراسة المشرق العربي تاريخياً وجغرافياً واجتماع، كونه تتبع بمهنية تامة كل ما قرأه عن المشرق العربي القديم، وحدد أماكن المعالم التاريخية التي اندثرت أو كادت تندثر، كما حدد تواجد التجمعات العشائرية، متحملاً قسوة المناخ والتضاريس وهجمات قطاع الطرق، لكن تواجد موسيل في المشرق العربي وفي ظروف تاريخية كتلك التي عاصرها؛ حيث الدولة العثمانية على وشك الانهيار والاطماع البريطانية في تزايد مستمر، والحرب العالمية تكاد تقرع طبولها، يلصق عليه عملية التجسس لصالح بلاده النمسا، خاصة وأنه حث الشيخ نوري الشعلان أكثر من مرة على مساعدة الحكومة العثمانية ومحاربة الانجليز، وما يعزز تلك الشبهات أن موسيل كان ينقطع عن العمل ثم يستدعى فجأة، وكان أثناء مكوثه في بلاده يكون ملازما وقريباً من الطبقة الحاكمة في النمسا، فضلاً من أن الرجل كان معروفا بصلاته المبكرة مع الاستخبارات النمساوية.

وأن كان قد فشل موسيل بمهمته الاستخبارية، بعد هزيمة بلاده في (الحرب العالمية الأولى)، لكن أسعده بالتأكيد تشكيل (وطن) لليهود في فلسطين، كما استفادت الولايات المتحدة الامريكية من منجزاته، حيث أعتنت بمؤلفاته التي كتبت باللغتين الالمانية والانجليزية، ثم قامت بنشرها تباعاً.